اختلاف علماء العقيدة في الاستدلال بالشواهد القرآنية علي عصمة النبي يوسف عليه السلام
دراسة تحليلية نقدية

أ. د. فتحي محمد الزغبي
أستاذ العقيدة والأديان بقسم أصول الدين
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الشارقة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سينا محمد رحمة الله للعالمين، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

أما بعد:

فإن هذا البحث يدور حول دراسة تحليلية عقدية لعدد من الشواهد القرآنية، استدل بها علماء العقيدة والكلام علي عصمة نبي الله يوسف عليه السلام، واختلفوا فيما بينهم في وجوه الاستدلال بهذه الشواهد، واستخدمت المنهج التحليلي النقدي من خلال عرض الآراء المختلفة وتحليلها، ثم القيام بنقدها نقداً علمياً وموضوعياً، ومناقشة الأقوال عقلاً ونقلاً، وتفنيد الروايات من ناحيتي السند والمتن، ومدى اتصالها بعقيدة عصمة الأنبياء والرسل قبل النبوة وبعدها.

وهناك دراسات وأبحاث كثيرة تتعلق بقصة يوسف عليه السلام، لكني لم أجد –حسب علمي– من خصص بحثاً عن اختلاف علماء العقيدة في الاستدلال بالشواهد القرآنية علي عصمة النبي يوسف عليه السلام، فجاء البحث جديداً في عنوانه، فريداً في خطته وبنيانه.

المبحث الأول
اختلاف علماء العقيدة في الاستدلال بالشاهد القرآني: {ولقد همت به وهم بها لولا أن رأي برهان ربه}

تمهيد:

يذكر الفخر الرازي أن هذه الآية من المهمات التي يجب الاعتناء بالبحث عنها[1]، ويري القرطبي أن العلماء قد اختلفوا في هم يوسف عليه السلام، ولا خلاف أن همها كان المعصية[2]، ويذكر ابن الجوزي أن هم زليخا (امرأة العزيز) كما قال المفسرون دعته إلى نفسها واستلقت له واختلفوا

---

[1] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، جزء 18 صفحة 92 للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م.

[2] الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي جزء 9 صفحة 165، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب-القاهرة.

في همه بها على خمسة أقوال[3]، حيث اتفقوا على تفسير هم امـرأة العزيـز، حيث يفسـرون قولـه تعـالى (ولقـد همت بـه) أي بمخالطتـه، والمعـنى أنهـا قصدت المخالطة وعزمت عليها عزمـا جازمـا لا يلويهـا عنـه صـارف بعـد مـا باشرت مباديها وفعلت ما فعلت مما قصه الله تعـالى ولعلهـا تصـدت هنالـك لأفعال أخر من بسط يدها إليه وقصد المعانقة وغير ذلك ممـا اضـطره عليـه السلام إلى الهرب نحـو البـاب والتأكيـد لـدفع مـا عسـى يتـوهم من احتمـال إقلاعها عمـا كـانت عليـه بمـا في مقالتـه عليـه السـلام من الزواجر[2]، لكنهم اختلفوا في قوله تعالي (وهم بها لولا أن رأي برهان ربه)، يـذكر العلامـة ابن عطية أنه لا شك في أن هم زليخا كان في أن يواقعهـا يوسـف، واختلـف في هم يوسف عليه السلام، فقال الطبري: قالت فرقة كان مثـل همهـا. وقـالت فرقة في همه: إنما كان بخطـرات القلب الـتي لا يقـدر البشـر عن التحفـظ منها ونزع عند ذلك ولم يتجاوزه فلا يبعد هـذا على مثلـه عليـه السـلا،م وفي الحـديث:]إن من هم بسـيئة ولم يعملهـا فلـه عشـر حسـنات[، فقـد يـدخل يوسف في هذا الصنف. وقالت فرقة: كان هم يوسف بضربها ونحو ذلك[3].

وسـوف أبين هـذه الاتجاهـات المختلفـة من خلال هـذا المبحث الـذي يشتمل علي أربعة مطالب:

المطلب الأول: اتجاه القائلين بأن هم يوسف عليـه السـلام بمعني العزم والفعل

يذكر القرطبي أنه قد قيل: إن هم يوسف كان معصية وأنه جلس منهـا مجلس الرجل من امرأته وإلى هذا القول ذهب معظم المفسـرين وعـامتهم فيما ذكر القشيري أبو نصر وابن الأنباري والنحاس والماوردي وغيرهم، قـال ابن عباس: حل الهميـان وجلس منهـا مجلس الخـاتن، وعنـه: اسـتلقت على قفاها وقعد بين رجليها ينزع ثيابه، وقال سعيد بن جبير: أطلق تكة سـراويله، وقال مجاهد: حل السراويل حتى بلغ الأليتين وجلس منها مجلس الرجل من امرأته، وجواب لولا على هذا محذوف، أي: لـولا أن رأى برهـان ربـه لأمضـى ما هم به، ومثله: كلا لو تعلمون علم اليقين التكاثر وجوابه لم تتنافسوا، قـال ابن عطيـة: روى هـذا القـول عن ابن عبـاس وجماعـة من السـلف وقـالوا: الحكمة في ذلك أن يكون مثلا للمذنبين ليروا أن توبتهم ترجع إلى عفـو اللـه

---

[1] زاد المسير في علم التفسـير جـزء 4 صـفحة 204، عبـد الـرحمن بن علي بن محمـد الجوزي، المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة الثالثة، 1404ه.

[2] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تفسير أبي السعود جزء 4 صفحة 265 ـ 266 للعلامة أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، جزء 12 صفحة 213، للعلامـة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسـي البغـدادي، دار إحيـاء الـتراث العـربي-بيروت.

[3] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيـز، جـزء 3 صـفحة 233 ـ 234، للعلامـة أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمـد، دار الكتب العلمية-لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م.

تعالى كما رجعت ممن هو خير منهم ولم يوبقه القرب من الذنب، وهذا كلــه على أن هم يوســف بلــغ فيمــا روت هــذه الفرقــة إلى أن جلس بين رجلي زليخـاء وأخـذ في حـل ثيابـه وتكتـه ونحـو ذلـك وهي قـد اسـتلقت لـه حكـاه الطبري وقال أبو عبيد القاسم بن سـلام وابن عبـاس ومن دونـه لا يختلفـون في أنه هم بها، وهم أعلم بالله وبتأويـل كتابـه وأشـد تعظيمـاً للأنبيـاء من أن يتكلموا فيهم بغير علم، وقال الحسـن: إن اللـه عـز وجـل لم يـذكر معاصـي الأنبياء ليعيرهم بها ولكنه ذكرها لكيلا تيأسوا من التوبة، قال الغزنوي: مع أن زلة الأنبيـاء حكمـاً: زيـادة الوجـل وشـدة الحيـاء بالخجـل والتخلي عن عجب العمل والتلذذ بنعمة العفو بعد الأمل وكونهم أئمة رجـاء أهـل الزلل[1]، ويـذكر ابن الجوزي: أن القـول الأول يتمثـل في أن هم يوسـف كـان من جنس هم امرأة العزيـز، فلـولا أن اللـه تعـالى عصـمه لفعـل، وإلى هـذا المعـنى ذهب الحسـن وسـعيد بن جبـير والضـحاك والسـدي وهـو قـول عامـة المفسـرين المتقـدمين، واختـاره من المتـأخرين جماعـة منهم ابن جريـر وابن الأنبـاري، وقال ابن قتيبة: لا يجـوز في اللغـة هممت بفلان وهم بي وأنت تريـد اختلاف الهمين، واحتج من نصر هذا القول بأنه مذهب الأكثرين من السلف والعلمـاء الأكابر، ويدل عليه ما وقع من أمر البرهان الذي رآه، قالوا ورجوعه عمــا هم بـه من ذلـك خوفـا من اللـه تعـالى يمحـو عنـه سـيء الهم ويـوجب لـه علـو المنازل[2]، ويـذكر كـل من الـرازي والآلوسـي أنـه ممن ذهب إلى تحقـق هـذا الهم القبيح منه عليـه السـلام الواحـدي فإنـه قـال في كتـاب البسـيط: قـال المفسـرون الموثـوق بعلمهم المرجـوع إلى روايتهم هم يوسـف أيضـاً بهـذه المرأة هما صحيحاً وجلس منها مجلس الرجل من المرأة، فلما رأى البرهـان من ربه زالت كل شهوة عنه. قال جعفر الصادق رضي الله عنه بإسـناده عن علي عليه السلام أنه قال: طمعت فيه وطمع فيها فكان طمعه فيهـا أنــه هم أن يحل التكة، وعن ابن عباس رضي الله عنهمـا قـال: حـل الهميـان وجلس منها مجلس الخائن وعنه أيضاً أنها استلقت له وجلس بين رجليها ينزع ثيابـه،

[1] راجع تفسير القرطبي جزء 9 صفحة 166-167، والمحرر الوجـيز في تفسـير الكتـاب العزيز، جزء 3 صفحة 233 –ـ 234، وقد أورد السيوطي كل الروايات الواردة في هـذا الشأن، منها ما أخرجه عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنـذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهمـا قـال: لمـا همت به تزينت ثم استلقت على فراشها وهم بهـا وجلس بين رجليهـا يحـل تبانـه نـودي من السماء: يا بن يعقوب لا تكن كطائر ينتـف ريشـه فبقي لا ريش لـه فلم يتعـظ على النداء شيئا حتى رأى برهـان ربـه جبريـل عليـه السـلام في صـورة يعقـوب عاضـا على أصبعيه ففزع فخرجت شهوته من أنامله فوثب إلى الباب فوجـده مغلقـا فرفـع يوسـف رجله فضرب بها الباب الأدنى فـانفرج لـه واتبعتـه فأدركتـه فوضـعت يـديها في قميصـه فشقته حتى بلغت عضلة ساقه فألفيا سيدها لـدى البـاب، راجـع: الـدر المنثـور جـزء 4 صـفحة 520 ومابعـدها عبـد الـرحمن بن الكمـال جلال الـدين السـيوطي، دار الفكـر- بيروت، 1993م.

[2] زاد المسير جزء 4 صفحة 204.

ثم إن الواحدي طول في كلمات عديمة الفائدة في هذا الباب، وما ذكر آية يحتج بها ولا حديثاً صحيحاً يعول عليه في تصحيح هذه المقالة، وما أمعن النظر في تلك الكلمات العارية عن الفائدة، ثم قال: والذين أثبتوا هذا العمل ليوسف كانوا أعرف بحقوق الأنبياء عليهم السلام وارتفاع منازلهم عند الله تعالى من الذين نفوا لهم عنه، فهذا خلاصة كلامه في هذا الباب[1].

فإن قال قائل وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا وهو لله نبي؟ قيل: إن أهل العلم اختلفوا في ذلك، فقال بعضهم: كان ممن ابتلي من الأنبياء بخطيئة فإنما ابتلاه الله بها ليكون من الله عز وجل على وجل إذا ذكرها فيجد في طاعته إشفاقاً منها ولا يتكل على سعة عفو الله ورحمته، وقال آخرون: بل ابتلاهم الله بذلك ليعرفهم موضع نعمته عليهم بصفحة عنهم وتركه عقوبته عليه في الآخرة، وقال آخرون بل ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله وترك الإياس من عفوه عنهم إذا تابوا[2].

يذكر الإمام الطاهر ابن عاشور أنه قال جماعة: هَمّ يوسف بأن يجيبها لما دعته إليه ثم ارعوى وانكفّ على ذلك لما رأى برهان ربه. قاله ابن عباس، وقتادة، وابن أبي مليكة، وثعْلب. وبيان هذا أنه انصرف عمّا همّ به بحفظ الله أو بعصمته، والهمّ بالسيئة مع الكف عن إيقاعها ليس بكبيرة فلا ينافي عصمة الأنبياء من الكبائر قبل النبوءة على قول من رأى عصمتهم منها قبل النبوءة، وهو قول الجمهور، وفيه خلاف، ولذلك جوز ابن عباس ذلك على يوسف. وقال جماعة: هَمّ يوسف وأخذ في التهيّؤ لذلك فرأى برهاناً صرفه عن ذلك فأقلع عن ذلك. وهذا قول السديّ، ورواية عن ابن عباس. وهو يرجع إلى ما بيناه في القول الذي قبله[3].

وأما البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام ففيه أقوال أيضاً فعن ابن عباس وسعيد ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة وأبي صالح والضحاك ومحمد بن إسحاق وغيرهم رأى صورة أبيه يعقوب عاضاً على إصبعه بفمه، وقيل عنه في رواية: فضرب في صدر يوسف، وقال العوفي عن ابن عباس: رأى خيال الملك يعني سيده، وكذا قال محمد بن إسحاق فيما حكاه عن بعضهم: إنما هو خيال قطفير سيده حين دنا من

---

[1] التفسير الكبير جزء 18 صفحة 92، وروح المعاني جزء 12 صفحة 214.
ويبدو أن الواحدي قد اختصر هذا القول في تفسيره الوجيز، حيث يذكر في تفسير قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها) طمعت فيه وطمع فيها، راجع: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تفسير الواحدي جزء 1 صفحة 543، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم-الدار الشامية، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.

[2] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تفسير الطبري جزء 12 صفحة 185، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر-بيروت، 1405ه.

[3] تفسير التحرير والتنوير جزء 12 صفحة 253 - 254، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس، 1997م.

الباب، ونقل ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت فإذا كتاب في حائط البيت: {ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلاً}، وقال عبد الله بن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن أبي صخر قال: سمعت القرظي يقول: في البرهان الذي رآه يوسف ثلاث آيات من كتاب الله: {وإن عليكم لحافظين} الآية، وقوله: {وما تكون في شأن} الآية، وقوله: {أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت}، قال نافع: سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظي، وزاد آية رابعة: {ولا تقربوا الزنا}، وقال الأوزاعي: رأى آية من كتاب الله في الجدار تنهاه عن ذلك[1].

ويذكر العلامة الطبري إلى أن أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن هم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة، وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملك وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنى، ولا حجة للعذر قاطعة بأي ذلك من أي، والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى والإيمان به وترك ما عدا ذلك إلى عالمه[2].

المطلب الثاني: اتجاه القائلين بأن هم يوسف عليه السلام بمعني خطرات وحديث النفس

أشار الطبري إلى هؤلاء القائلين بهذا الرأي لكنه لم يرتضه، فذكر أنهم قالوا ولا حرج في حديث النفس ولا في ذكر القلب إذا لم يكن معهما عزم ولا فعل[3]، وقال القشيري أبو نصر: وقال قوم جرى من يوسف هم وكان ذلك الهم حركة طبع من غير تصميم للعقد على الفعل وما كان من هذا القبيل لا يؤخذ به العبد وقد يخطر بقلب المرء وهو صائم شرب الماء البارد وتناول الطعام اللذيذ فإذا لم يأكل ولم يشرب ولم يصمم عزمه على الأكل والشرب لا يؤاخذ بما هجس في النفس والبرهان صرفه عن هذا الهم حتى لم يصر عزما مصمماً، وعلق القرطبي بقوله: هذا قول حسن وممن قال به الحسن[4]، وقال بعض أهل الحقائق الهم همان هم ثابت إذا كان معه عزم وعقد ورضى مثل هم امرأة العزيز والعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف عليه السلام والعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل، حيث روي أبو هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال عز وجل:]إذا تحدث عبدي بأن يعمل سيئة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها فإذا

[1] تفسير ابن كثير جزء 2 صفحة 475–476.
[2] تفسير الطبري جزء 12 صفحة 191.
[3] تفسير الطبري جزء 12 صفحة 185.
[4] تفسير القرطبي جزء 9 صفحة 167.

عملها فأنا أكتبها له بمثلها سيئة][5]، وقد ذكر الطيبي -طيب الله تعالى ثراه- بعد أن نقل ما حكاه محي السنة عن بعض أهل الحقائق أن هذا التفسير هو الذي يجب أن نذهب إليه ونتخذه مذهباً وإن نقل المفسرون ما نقلوا، وذلك لأن متابعة النص القاطع وبراءة المعصوم عن تلك الرذيلة وإحالة التقصير على الرواة أولى بالمصير إليه على أن أساطين النقل المتقنين لم يرووا في ذلك شيئاً مرفوعاً في كتبهم وجل تلك الروايات بل كلها مأخوذ من مسألة أهل الكتاب، ويري أنه قد صحح الحاكم بعضاً من الروايات التي استند إليها من نسب تلك الشنيعة إليه عليه السلام، لكن تصحيح الحاكم محكوم عليه بعدم الاعتبار عند ذوي الاعتبار[2].

وقد جوز الإمام الرازي أيضاً تفسير الهم بالشهوة وذكر أنه مستعمل في اللغة الشائعة فإنه يقول القائل فيما لا يشتهيه: لا يهمني هذا وفيما يشتهيه: هذا أهم الأشياء إلي وهو ما أشرنا إليه أولا أنه عليه الرحمة حمل الهم في الموضعين على ذلك فقال بعد: فمعنى الآية ولقد اشتهته واشتهاها ولولا أن رأى برهان ربه لفعل وهو مما لا داعي إليه إذ لا محذور في نسبة الهم المذموم إليها، والظاهر أن الهم بهذا المعنى مجاز كما نص عليه السيد المرتضي في درره لا حقيقة كما يوهمه ظاهر كلام الإمام، وقد ذهب إلى هذا التأويل أبو علي الجبائي وغيره وروي ذلك عن الحسن.

وبالجملة -كما يقول العلامة الآلوسي-: لا ينبغي التعويل على ما شاع في الأخبار والعدول عما ذهب إليه المحققون الأخيار وإياك والهم بنسبة تلك الشنيعة إلى ذلك الجناب بعد أن كشف الله سبحانه عن بصر بصيرتك فرأيت برهان ربك بلا حجاب[3].

ولعل أول من فصل في هذا القول العلامة الزمخشري حيث يذكر في تفسير قوله: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ) معناه: ولقد همت بمخالطته (وَهَمَّ بِهَا) وهمّ بمخالطتها (لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) جوابه محذوف، تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لخالطها، فحذف؛ لأنّ قوله: (وَهَمَّ بِهَا) يدل عليه، كقولك: هممت بقتله لولا أني خفت الله، معناه لولا أني خفت الله.

فإن قلت: كيف جاز على نبيّ الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصدٌ إليها؟ قلت: المراد أنّ نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلاً يشبه الهم به والقصد إليه، وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم. وهو يكسر ما به ويردّه بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم، ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هماً لشدّته لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله

---

1 تفسير البغوي جزء 2 صفحة 419–420.

2 روح المعاني جزء 12 صفحة 215–216.

3 روح المعاني جزء 12 صفحة 216راجع التفسير الكبير ج 18 ص 95.

بالامتناع؛ لأن استعظام الصبر على الابتلاء، على حسب عظم الابتلاء وشدته. ولو كان همه كهمها عن عزيمة، لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين[1].

وقد تابع كل من أبي السعود والبيضاوي ما ذهب إليه الزمخشري، وإن كانا قد أحكما الصياغة إحكاماً متقناً، حيث يذكر العلامة أبو السعود أنه عليه السلام (هم بها) أي: بمخالطتها أي مال إليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلاً جبلياً لا يكاد يدخل تحت التكليف لا أنه قصدها قصداً اختيارياً، ألا يرى إلى ما سبق من استعصامه المنبىء عن كمال كراهيته له ونفرته عنه وحكمه بعدم إفلاح الظالمين، وهل هو إلا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلاً محكماً، ويرى أن جواب لولا محذوف يدل عليه الكلام أي لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنى لجرى على موجب ميله الجبلى ولكنه حيث كان مشاهداً له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان أن امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الأحكام الطبيعية [2].

أما العلامة البيضاوي فيذكر في قوله (ولقد همت به وهم بها) أي وقصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم لعيه ومنه الهمام وهو الذي إذا هم بالشيء أمضاه والمراد بهمه عليه الصلاة والسلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم أو مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم أخف الله (لولا أن رأى برهان ربه) في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المغالبة ولا يجوز أن يجعل (وهم بها) جواب (لولا) فإنها في حكم أدوات الشرط فلا يتقدم عليها دوابها بل الجواب محذوف يدل عليه[3].

ويرى الإمام ابن تيمية أن الهم اسم جنس تحته نوعان ،كما قال الإمام أحمد: الهم همان هم خطرات وهم إصرار، ويوسف صلى الله عليه وسلم هم هما تركه لله ولذلك صرف الله عنه السوء والفحشاء لإخلاصه وذلك إنما يكون إذا قام المقتضى للذنب وهو الهم وعارضه الإخلاص الموجب لانصراف القلب عن الذنب لله فيوسف عليه السلام لم يصدر منه إلا حسنة يثاب عليها، ثم بين العلامة ابن تيمية أن ما ينقل من أنه حل سراويله وجلس مجلس الرجل من المرأة وأنه رأى صورة يعقوب عاضا على يده وأمثال ذلك فكله مما لم يخبر الله به ولا رسوله وما لم يكن كذلك فإنما هو مأخوذ

---

[1] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جزء 2 صفحة 429–430، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

[2] تفسير أبي السعود جزء 4 صفحة 266.

[3] تفسير البيضاوي جزء 3 صفحة 282، البيضاوي، دار الفكر-بيروت.

عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذباً على الأنبياء وقدحاً فيهم وكل من نقله من المسلمين فعنهم نقله لم ينقل من ذلك أحد عن نبينا صلى الله عليه وسلم حرفاً واحداً[1].

وقد استشهد القاضي أبوبكر ابن العربي بقوله تعالى (آتيناه حكماً وعلماً) على عصمة يوسف عليه السلام مما نسبه إليه أصحاب الاتجاه الأول؛ وبين أن خبر الله صادق ووصفه صحيح وكلامه حق فقد عمل يوسف بما علمه الله من تحريم الزنا وتحريم خيانة السيد أو الجار أو الأجنبي في أهله فما تعرض لامرأة العزيز ولا أناب إلى المراودة؛ بل أدبر عنها وفر منها؛ وهذا يطمس وجوه الجهلة من الناس والغفلة من العلماء في نسبتهم إليه ما لا يليق به، وأقل ما اقتحموا من ذلك أنه هتك السراويل وهم بالفتك فيما رأوه من تأويل، وحاش لله ما علمت عليه من سوء بل أبرئه مما برأه منه، فقال: ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا الذين استخلصناهم، والفحشاء هي الزنا والسوء هو المراودة والمغازلة فما ألم بشيء ولا أتى بفاحشة، ثم ذكر أن الله سبحانه ما أخبر عنه أنه أتى في جانب القصة فعلاً بجارحة، وإنما الذي كان منه الهم وهو فعل القلب فما لهؤلاء المفسرين لا يكادون يفقهون حديثا ويقولون فعل وفعل؟ والله إنما قال هم بها لا أقالهم ولا أقاتهم الله ولا عالهم، ثم حكي ابن العربي أنه كان بمدينة السلام إمام من أئمة الصوفية وأي إمام يعرف بابن عطاء تكلم يوماً على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرئته من مكروه ما نسب إليه، فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة، فقال له يا سيدي فإذن يوسف هم وما تم فقال نعم؛ لأن العناية من ثم، فانظر إلى حلاوة العالم والمتعلم وانظر إلى فطنة العامي في سؤاله وجواب العالم في اختصاره واستيفائه، ولذلك قال علماء الصوفية إن فائدة قوله ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما أن الله أعطاه العلم والحكمة إبان غلبة الشهوة لتكون له سبباً للعصمة[2]، ولذلك اعتبر الآلوسي هذا الرأي بأنه ما ذهب إليه بعض المحققين في معنى الآية وهو قول بإثبات هم له عليه السلام إلا أنه هم غير مذموم حيث إنه عليه السلام، قد هم بها أي مال إلي مخالطتها بمقتضي الطبيعة البشرية، كميل الصائم في اليوم الحار إلي الماء البارد، لا أنه عليه السلام قصدها قصدا اختياريا لأن ذلك أمر مذموم تنادي الآيات علي عدم اتصافه عليه السلام به، وإنما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه

---

[1] دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية جزء 2 صفحة 272 – 273، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن-دمشق، الطبعة الثانية، 1404ه. ومجموع الفتاوى جزء 10 صفحة 296–297، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

[2] . أحكام القرآن، جزء 3 صفحة 46–47، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر-لبنان.

في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة، لا لشبهه به كما قيـل ، وجـواب (لـولا) محـذوف يـدل عليـه الكلام، أي لـولا مشـاهدته البرهـان لجـري علي موجب ميله الجبلي، لكنه حيث كان مشاهداً له استمر على ما هـو عليـه من قضية البرهان[1].

هذا وقد بين أصحاب هـذا القـول الثـاني بطلان مـا ذهب إليـه أصـحاب القول الأول، عقلاً ونقلاً؛ حيث يذكر الزمخشري أنه قد فسر همّ يوسف بأنــه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع، وبأنه حل تكة سـراويله وقعـد بين شعبها الأربع وهي مستلقية على قفاها، وفسر البرهان بأنـه سـمع صـوتاً، ثم يقول: وهذا ونحوه. ممـا يـورده أهـل الحشـو والجـبر الـذين دينهم بهت اللـه تعالى وأنبيائه، وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل، ولو وُجِدَت من يوسف عليـه السـلام أدنى زلـة لنُعِيت عليـه وذُكِـرَت توبتـه واسـتغفاره، كمـا نُعِيَت على آدم زلتـه، وعلى داود، وعلى نـوح، وعلى أيوب، وعلى ذي النون، وذُكِرت توبتهم واسـتغفارهم، كيـف وقـد أثـنى عليـه وسمي مخلصاً، فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلـك المقـام الـدحض، وأنـه جاهـد نفسه مجاهدة أُولي القوّة والعزم، ناظراً في دليل التحريم ووجه القبح، حتى استحق من الله الثناء فيما أنـزل من كتب الأولين، ثم في القـرآن الـذي هـو حجة على سائر كتبه ومصداق لها، فأخزى الله أولئك في إيـرادهم مـا يـؤدّي إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من أنبياء اللـه، في القعـود بين شـعب الزانيـة وفي حـل تكته للوقوع عليها، وفي أن ينهاه ربه ثلاث كرّات ويصـاح بـه من عنـده ثلاث صـيحات بقـوارع القـرآن، وبـالتوبيخ العظيم، وبالوعيـد الشـديد، وبالتشـبيه بالطائر الذي سـقط ريشـه حين سـفد غـير أنثـاه، وهـو جـاثم في مربضـه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه، حتى يتداركه الله بجبريل وبإجبـاره، ولـو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدهم حدقة وأصلحهم وجهاً لقي بـأدنى مـا لقي بـه نـبي الله مما ذكروا، لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرّك. فيا له من مذهب ما أفحشه، ومن ضلال ما أبينه[2].

وينتهي أبو السعود إلى إن كل ذلك إلا خرافـات وأباطيـل تمجهـا الآذان وتردها العقول والأذهان ويل لمن لاكها ولفقها أو سمعها وصدقها[3].

المطلب الثالث: اتجاه القائلين بأن هم يوسف عليه السـلام هو بمعني الدفع والضرب

ذكر بعض العلماء أنه هم بها أي بضـربها ودفعهـا عن نفسـه، والبرهـان كفه عن الضرب، إذ لو ضربها لأوهم أنه قصـدها بـالحرام فـامتنعت فضـربها، يذكر الفخر الرازي أنه عليه السـلام هم بـدفعها عن نفسـه ومنعهـا عن ذلـك القبيح لأن الهم هو القصد، فوجب أن يحمـل في حـق كـل أحـد على القصـد

---

[1] روح المعاني جزء 12 صفحة 213.

[2] الكشاف جزء 2 صفحة 430-432.

[3] تفسير أبي السعود جزء 4 صفحة 266–267.

الذي يليق به، فـاللائق بـالمرأة القصـد إلى تحصـيل اللـذة والتنعيم والتمتـع، واللائق بالرسول المبعوث إلى الخلق القصد إلى زجر العاصـي عن معصـيته وإلى الأمــر بــالمعروف النهي عن المنكــر، يقــال: هممت بفلان أي بضــربه ودفعه.

فإن قالوا: فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله: (لَـوْلا أَن رَّأَى بُرْهَـانَ رَبّـِهِ) فائدة؛ قلنا: بل فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين:

الأول: أنه تعالى أعلم يوسف عليه السلام أنه لـو هم بـدفعها لقتلتـه أو لكانت تأمر الحاضرين بقتله، فأعلمه الله تعالى أن الامتنـاع من ضـربها أولى صوناً للنفس عن الهلاك.

الثاني: أنه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفســه فربمـا تعلقت بـه، فكان يتمزق ثوبه من قدام، وكان في علم الله تعالى أن الشاهد يشـهد بـأن ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هـو الخـائن، ولـو كـان ثوبـه ممزقـاً من خلف لكانت المرأة هي الخائنة، فالله تعالى أعلمه بهذا المعنى، فلا جــرم لم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربـاً عنهـا، حـتى صـارت شـهادة الشـاهد حجة له على براءته عن المعصية[1].

وإلى تقــدير الـدفع ذهب بعض الســادة الصــوفية -قــدس اللــه تعـالى أسرارهم- ففي الجواهر والدرر للشعراني: سـألت شـيخنا عن قولـه تعـالى: (ولقد همت به وهم بها) ما هذا الهم الذي أبهم فقـد تكلم النـاس فيـه بمـا لا يليق برتب الأنبياء عليهم السلام؟ فقال: لا أعلم، قلت: قد ذكر الشيخ الأكـبر -قدس سره- أن مطلق اللسان يدل على أحدية المعنى ولكن ذلك أكـثرى لا كلى فالحق أنها همت به عليه السـلام لتقهـره على مـا أرادتـه منـه وهم بهـا ليقهرها في الـدفع عمـا أرادتـه منـه فالاشـتراك في طلب القهـر منـه ومنهـا والحكم مختلف ولهذا قالت: (أنا راودتـه عن نفسـه)، ومـا جـاء في السـورة أصلاً أنه راودها عن نفسها[2].

وقد تبني هذا الرأي من المعاصـرين العلامـة الشـيخ رشـيد رضـا، حيث يذكر في تفسير قوله تعالى عن يوسف عليـه السـلام: (قـال معـاذ اللـه إنـه ربي أحســن مثــواي غنــه لا يفلح الظــالمون) أن في جملـــة الجـــواب من الاعتصام والاعتزاز بالإيمان بالله، والأمانـة للسـيد صـاحب الـدار، والتعـريض بخيانـة امرأتـه لـه المتضـمن لاحتقارهـا، مـا أضـرم في صـدرها نـار الغيـظ والانتقام، مضاعفة لنار الغرام، وهو ما بينه -تعالى- بقوله مؤكدا بالقسم لأنه مما ينكره الأخيار من شرور الفجار: (ولقد همت بـه)، أي: وتاللـه لقـد همت المرأة بالبطش به لعصيانه أمرها، وهي في نظرها سيدته وهـو عبـدها، وقـد أذلت نفسها له بدعوته الصريحة إلى نفسها بعد الاحتيال عليـه بمراودتـه عن نفسه، ومن شأن المرأة أن تكون مطلوبة لا طالبـة، ومـراودة عن نفسـها لا

---

[1] التفسير الكبير جزء 18 صفحة 95، راجع: عصمة الأنبيـاء 88ـ 89، تقـديم ومراجعـة: محمد حجازي، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، 1406ه–1986م.

[2] روح المعاني جزء 12 صفحة 216.

مراودة، حتى إن حماة الأنوف من كبراء الرجال؛ يطأطئون الرؤوس لفقيرات الحسان ربات الجمال، ويبذلون لهم ما يعتزون به من الجاه والمال، بل إن الملوك ليذلون أنفسهم لمملوكاتهم وأزواجهم ولا يأبون أن يسموا أنفسهم عبيداً لهن، ولكن هذا العبد العبراني الخارق للطبيعة البشرية في حسنه وجماله، وفي جلاله وكماله، وفي إبائه وتألهه، قد عكس القضية، وخرق نظام الطبيعة والعوائد بين الجنسين، فأخرج المرأة من طبع أنوثتها في إدلالها وتمنعها، وهبط بالسيدة المالكة من عزة سيادتها وسلطانها، ودهور الأميرة (الأرستقراطية) من عرش عظمتها وتكبرها، وأذلها لعبدها وخادمها، وبما هونه عليها: قرب الوساد، وطول السواد، والخلوة من وراء الأستار والأبواب، حتى إنها لتراوده عن نفسه في مخدع دارها، فيصد عنها علواً ونفاراً، ثم تصارحه بالدعوة إلى نفسها فيزداد عتواً واستكباراً، معتزا عليها بالديانة والأمانة، والترفع عن الخيانة[1].

وأخذ الشيخ رشيد يرد على جميع من فسروا هم المرأة بغير ما اختاره، لا همه وحده، فقال: لولا الغرور بالروايات الباطلة لم يخطر لأحد منهم غيره، ورد عليهم بعبارة القرآن في مدلولها اللغوي فهو حجة عليهم، فقال: أجمع أهل اللغة على أن الهم إنما يكون بالأعمال، لا بالشخوص والأعيان، وتحقيق معناه أنه مقاربة فعل تعارض فيه المانع والمقتضي فلم يقع لرجحان المانع، وهو الموافق لقول علماء الأصول في التعارض الأعم، ولكن رجحان المانع هنا قد يكون بإرادة صاحب الهم ومنه هم يوسف، وقد يكون من غيره ومنه هم هذه المرأة: كان همهما واحداً وهو البطش بالضرب أو ما في معناه، وكان المانع منه إرادته هو وعجزها هي بهربه، وأخذ يستشهد علي ما ذهب إليه بعدد من الشواهد القرآنية، وانتهي بعد تفصيل إلى أنه من الجلي أنه لا يصح تفسير: (ولقد همت به) بهذا المعنى الذي أثبتناه بشواهد الكتاب والسنة إلا بما قررناه، وأن ما قاله الجمهور باطل لمخالفته له، بل للغة القرآن وهدايته، وإنما خدعتهم به الروايات الباطلة، وبيانه من وجوه:

(أولها): أن الهم لا يكون إلا بفعل للهام، والوقاع ليس من أفعال المرأة فتهم به، وإنما نصيبها منه قبوله ممن يطلبه منها بتمكينه منه، وهذا التمكين هو الذي يثبت به دخول الزوجية الذي تستحق فيه المرأة النفقة من زوجها كما هو مقرر في الفقه.

(ثانيها): أن يوسف عليه السلام لم يطلب من امرأة العزيز هذا الفعل فيسمى قبولها لطلبه ورضاها بتمكينه منه هما لها، فإن نصوص الآيات قبل هذه الآيات وبعدها تبرئه من ذلك، بل من وسائله ومقدماته أيضا.

---

[1] تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار جزء 12 صفحة 229، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، 1990م.

(ثالثها): لو أن ذلك وقع لكان الواجب في التعبير عنه أن يقال: ((ولقد هم بها وهمت به))؛ لأن الأول هو المقدم بالطبع والوضع وهو الهم الحقيقي. والهم الثاني متوقف عليه لا يتحقق بدونه.

(رابعها): أنه قد علم من القصة أن هذه المرأة كانت عازمة على ما طلبته طلباً جازماً مصرة عليه، ليس عندها أدنى تردد فيه ولا مانع منه يعارض المقتضي له، فإذن لا يصح أن يقال إنها همت به مطلقاً، حتى لو فرض جدلاً أنه كان قبولاً لطلبه ومواتاة له؛ إذ الهم مقاربة الفعل المتردد فيه، وهو الذي يصح فيما حققناه من إرادة تأديبه بالضرب على أهون تقدير، فهذا هو المتبادر من نص اللغة ومن السياق وأقربه قوله عز وجل: (واستبقا الباب)، أي: فر يوسف من أمامها هارباً إلى باب الدار يريد الخروج منه للنجاة منها، ترجيحاً للفرار على الدفاع الذي لا يعرف مداه، وتبعته تبغي إرجاعه حتى لا يفلت من يدها، وهي لا تدري أين يذهب إذا هو خرج ولا ما يقول وما يفعل، وتكلف كل منهما أن يسبق الآخر، فأدركته (وقدت قميصه من دبر) إذ جذبته به من ورائه فانقد[1].

المطلب الرابع: اتجاه القائلين بأنه لم يقع من يوسف عليه السلام هم ألبتة

يذكر الفخر الرازي أن يوسف عليه السلام كان بريئاً عن العمل الباطل، والهم المحرم، وأن هذا هو قول المحققين من المتكلمين والمفسرين، وبه نقول وعنه نذب، ثم ذكر أنا لا نسلّم أن يوسف عليه السلام هم بها. والدليل عليه أنه تعالى قال: (وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ)، وجواب (لَوْلاَ) ههنا مقدم، وهو كما يقال: قد كنت من الهالكين لولا أن فلاناً خلصك[2]، وجاء في تفسير القرطبي أن يوسف هم بها (لولا أن رأى برهان ربه) ولكن لما رأى البرهان ما هم، وهذا لوجوب العصمة للأنبياء قال الله تعالى: (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين)، فإذا في الكلام تقديم وتأخير أي لولا أن رأى برهان ربه هم بها، قال أبو حاتم: كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله: (ولقد همت به وهم بها) الآية، قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير، كأنه أراد ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها[3].

ويذكر العلامة أبو حيان أن المفسرين قد طولوا في تفسير هذين الهمين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق، والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه همّ بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، ولا تقول: إنّ جواب لولا متقدم عليها وإنْ كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى

---

[1] راجع تفصيل ذلك في تفسير المنار جزء 12 صفحة 234–236.
[2] راجع مفاتيح الغيب ج 18 ص 93-94.
[3] تفسير القرطبي جزء 9 صفحة 165–166.

ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري، وأبو العباس المبرد. بل نقول: إن جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما تقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله: أنت ظالم على ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل. وكذلك هنا التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، فكان موجداً لهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان، لكنه وجد رؤية البرهان فانتفي الهم[1].

وقد طعن الزجاج فيما ذهب إليه أصحاب هذا الاتجاه الرابع من وجهين:

الأول: أن تقديم جواب (لَوْلاَ) شاذ وغير موجود في الكلام الفصيح.

الثاني: أن (لَوْلاَ) يجاب جوابها باللام، فلو كان الأمر على ما ذكرتم لقال: ولقد همت ولهم بها لولا. وذكر غير الزجاج سؤالاً ثالثاً وهو أنه لو لم يوجد الهم لما كان لقوله: (لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) فائدة.

وقد انبري الفخر الرازي للرد على ذلك فقال: واعلم أن ما ذكره الزجاج بعيد، لأنا نسلم أن تأخير جواب (لَوْلاَ) حسن جائز، إلا أن جوازه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب، وكيف وقد نقل عن سيبويه أنه قال: إنهم يقدمون الأهم فالأهم، والذي هم بشأنه أعنى فكان الأمر في جواز التقديم والتأخير مربوطاً بشدة الاهتمام. وأما تعيين بعض الألفاظ بالمنع فذلك مما لا يليق بالحكمة، وأيضاً ذكر جواب (لَوْلاَ) باللام جائز. أما هذا لا يدل على أن ذكره بغير اللام لا يجوز، ثم إنا نذكر آية أخرى تدل على فساد قول الزجاج في هذين السؤالين، وهو قوله تعالى: (إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) (القصص: 10)، ثم أكد الرازي علي أن ترك الهم بها ما كان لعدم رغبته في النساء، وعدم قدرته عليهن بل لأجل أن دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل، ثم نقول: إن الذي يدل على أن جواب (لَوْلاَ) ما ذكرناه أن (لَوْلاَ) تستدعي جواباً، وهذا المذكور يصلح جواباً له، فوجب الحكم بكونه جواباً له لا يقال إنا نضمر له جواباً، وترك الجواب كثير في القرآ ، لأنا نقول: لا نزاع أنه كثير في القرآن، إلا أن الأصل أن لا يكون محذوفاً. وأيضاً فالجواب إنما يحسن تركه وحذفه إذا حصل في اللفظ ما يدل على تعينه، وههنا بتقدير أن يكون الجواب محذوفاً فليس في اللفظ ما يدل على تعين ذلك الجواب، فإن ههنا أنواعاً من الإضمارات يحسن إضمار كل واحد منها، وليس إضمار بعضها أولى من إضمار الباقي فظهر الفرق. والله أعلم[2].

وجاء في تفسير ابن عطية أنه قد ذهب قوم إلى أن الكلام تم في قوله (ولقد همت به)، وأن جواب (لولا) في قوله (وهم بها) وأن المعنى لولا أن رأى البرهان لهم أي فلم يهم عليه السلام، وبيّن ابن عطية أن هذا قول

---

[1] تفسير البحر المحيط جزء 5 صفحة 294-295، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: 1) د.زكريا عبد المجيد النوقي، 2) د.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م.

[2] التفسير الكبير جزء 18 صفحة 94–95، راجع عصمة الأنبياء ص 89–90.

يرده لسان العرب وأقوال السلف. واستشهد بقول الزجاج: ولـو كـان الكلام ولهم بها لولا لكان بعيدا فكيف مع سقوط اللام[1].

وقد انبري أيضاً العلامة النحوي أبو حيـان للـرد على ذلـك فـذكر أنـه لا التفات إلى قـول الزجـاج (ولـو كـان الكلام ولهم بهـا كـان بعيـداً فكيـف مـع سقوط اللام؟) لأنه يوهم أن قول : وهمّ بهـا هـو جـواب لـولا، ونحن لم نقـل بذلك، وإنما هو دليـل الجـواب. وعلى تقـدير أن يكـون نفس الجـواب فـاللام ليست بلازمة لجواز أن ما يأتي جواب لـولا إذا كـان بصـيغة الماضـي بـاللام، وبغير لام تقـول: لـولا زيـد لأكرمتـك، ولـولا زيـد أكرمتـك. فمن ذهب إلى أن قوله: وهم بها هو نفس الجواب لم يبعد، ثم بين أنـه لا التفـات أيضـاً إلى مـا قاله ابن عطية، وذلك لأن قوله: يـرده لسـان العـرب فليس كمـا ذكـر، وقـد استدل من ذهب إلى جواز ذلك بوجوده في لسان العـرب قـال اللـه تعـالى: (إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) فقوله: إنْ كادت لتبـدي بـه، إمـا أن يتخـرج على أنـه الجـواب على مـا ذهب إليـه ذلـك القائل، وإما أن يتخرج على ما ذهبنا إليه من أنه دليل الجواب، والتقدير: لولا أن ربطنا على قلبها لكادت تبدى به.

وأما أقوال السلف فنعتقد أنـه لا يصـح عن أحـد منهم شـيء من ذلـك، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضـاً، مـع كونهـا قادحـة في بعض فسـاق المسـلمين، فضـلاً عن المقطـوع لهم بالعصـمة. والـذي روي عن السـلف لا يساعد عليـه كلام العـرب، لأنهم قـدروا جـواب لـولا محـذوفاً، ولا يـدل عليـه دليــل، لأنهم لم يقــدروا لهم بهــا. ولا يــدل كلام العــرب إلا على أن يكــون المحذوف من معنى ما قبـل الشـرط، لأنّ مـا قبـل الشـرط دليـل عليـه، ولا يحذف الشيء لغير دليل عليه. وينتهي أبو حيان إلي أنه قد طهـر كتابـه هـذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليـق ذكـره، واقتصـر على مـا دل عليـه لسان العرب، ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يـدل على العصـمة، وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما يشين[2].

ولذلك فإن العلامة التفتازاني يذكر أن شبهة منكري عصمة الأنبيـاء في قصة يوسف تتمثل في الهم المشار إليه بقوله تعـالى: (ولقـد همت بـه وهم بها) والجواب على هذه الشبهة يتمثل في أن ذلك قبل البعثـة أو المـراد وهم بها لولا أن رأى برهـان ربـه على أن يكـون الجـواب المحـذوف مـا دل عليـه الكلام السابق ويكون التقدير لولا أن رأى برهان ربه لخالطهـا، وبالجملـة فلا دلالة ههنا على العزم والقصد إلى المعصية فضـلا عمـا يـذكره الحشـوية من

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز جزء 3 صفحة 235، أبو محمد عبد الحــق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، محمـد دار الكتب العلميـة-لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م.

[2] تفسير البحر المحيط جزء 5 صفحة 295.

الحشويات ولهذا ورد في هذا المقام من الثناء على يوسف ما ورد من غير أن تقع عليه زلة أو يذكر له استغفار وتوبة [1].

ويذكر العلامة النسفي أنها قد همت به هم عزم (وهم بها) هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن، وقال الشيخ أبو منصور -رحمه الله- وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان همة كهمها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين، وينتهي إلى القول: فعلم بالقطع أنه ثبت فى ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أولى العزم ناظر فى دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء ومحل الكاف في (كذلك) نصب أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو رفع أي الأمر مثل ذلك[2].

ويذكر العلامة أبو السعود أنه قد نص أئمة الصناعة على أن لولا في أمثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى: (إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها)، فلا يتحقق هناك هم أصلاً وقد جوز أن يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم، فالهم حينئذ على معناه الحقيقي، فالمعنى: لولا أنه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به، ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم رأساً[3].

وقد تبني الإمام البقاعي هذا الرأي الذي يذهب إلى ان يوسف عليه السلام لم يقع منه هم البتة، فقال: (وهمَّ بها) كما هو شأن الفحول عند توفر الأسباب (لولا أن رأى) أي بعين قلبه (برهان ربه) الذي آتاه إياه من الحكم والعلم، أي: لهمّ بها، لكنه لما كان البرهان حاضراً لديه حضور من يراه بالعين، لم يغطه وفور شهوة ولا غلبة هوى، فلم يهم أصلاً مع كونه في غاية الاستعداد لذلك لما آتاه الله من القوة مع كونه في سن الشباب، فلولا المراقبة لهمّ بها لتوفر الدواعي غير أن نور الشهود محاها أصلاً، وهذا التقدير هو اللائق بمثل مقامه مع أنه هو الذي تدل عليه أساليب هذه الآيات من جعله من المخلصين والمحسنين المصروف عنهم السوء[4].

وقد تبني كثير من المفسرين المعاصرين هذا الرأي، أذكر منهم العلامة ابن عاشور الذي دعم هذا الرأي برؤي جديدة حيث يقول: والهم: العزم على الفعل. وتقدم عند قوله تعالى: {وهمّوا بما لم ينالوا} (سورة براءة: 74).

---

[1] شرح المقاصد في علم الكلام جزء 2 صفحة 195، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار المعارف النعمانية-باكستان، الطبعة الأولى، 1401هـ-1981م.

[2] مدارك التنزيل وحقائق التأويل تفسير النسفي جزء 1 صفحة 525 – 526، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات، تحقيق: عبد المجيد طعمه حلبي، دار المعرفة-بيروت، -1429ه-2008م.

[3] تفسير أبي السعود جزء 4 صفحة 266.

[4] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، جزء 4 صفحة 30، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية-بيروت، 1415هـ-1995م.

وأكد همّها بـ(قد)، ولام القسم ليفيد أنها عزمت عزماً محققاً. وجملة: (ولقد همت به) مستأنفة استئنافاً ابتدائياً. والمقصود: أنها كانت جادة فيما راودته لا مختبرة. والمقصود من ذكر هَمّها به التمهيد إلى ذكر انتفاء همه بها لبيان الفرق بين حاليهما في الدين فإنه معصوم، وبيّن أن جملة: (وهَمّ بها لولا أن رأى برهان ربه) معطوفة على جملة: (ولقد همت به) كلها. وليست معطوفة على جملة: (همت) التي هي جواب القسم المدلول عليه باللام، لأنه لما أردفت جملة: (وهمّ بها) بجملة شرط (لولا) المتمحض لكونه من أحوال يوسف عليه السّلام وحْده لا من أحوال امرأة العزيز تعين أنه لا علاقة بين الجملتين، فتعين أن الثانية مستقلة لاختصاص شرطها بحال المسند إليه فيها. فالتقدير: ولولا أن رأى برهان ربه لَهَمّ بها، فقدم الجواب على شرطه للاهتمام به. ولم يقرن الجواب باللاّم التي يكثر اقتران جواب (لولا) بها لأنه ليس لازماً ولأنه لمّا قُدم على (لولا) كُره قرنه باللام قبل ذكر حرف الشرط، فيحسن الوقف على قوله: (ولقد همت به) ليظهر معنى الابتداء بجملة (وهَمّ بها) واضحاً. وبذلك يظهر أن يوسف عليه السّلام لم يخالطه همّ بامرأة العزيز لأن الله عصمه من الهمّ بالمعصية بما أراه من البرهان[1].

بطلان ما ذهب إليه أصحاب الاتجاه الأول: وقد تعقب الإمام الرازي ما ذكره أصحاب الاتجاه الأول، بأن هذه المعصية التي نسبوها إلى يوسف وحاشاه من أقبح المعاصي وأنكرها ومثلها لو نسب إلى أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منه فكيف يجوز إسناده إلى هذا الصديق الكريم وأيضا إن الله سبحانه شهد بكون ماهية السوء وماهية الفحشاء مصر وفتين عنه ومع هذه الشهادة كيف يقبل القول بنسبة أعظم السوء والفحشاء إليه عليه السلام، وأيضاً إن هذا الهم القبيح لو كان واقعا منه عليه السلام كما زعموا وكانت الآية متضمنة له لكان تعقيب ذلك بقوله تعالى: (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) خارجاً عن الحكمة، لأنا لو سلمنا أنه لا يدل على نفي المعصية فلا أقل من أن يدل على المدح العظيم، ومن المعلوم أنه لا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكي إقدامه على معصية عظيمة ثم إنه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح والأثنية، وأيضاً إن الأكابر كالأنبياء متى صدرت عنهم زلة أو هفوة استعظموا ذلك واتبعوه بإظهار الندامة والتوبة والتخضع والتنصل، فلو كان يوسف عليه السلام أقدم على هذه الفاحشة المنكرة لكان من المحال أن لا يتبعها بذلك ولو كان قد إتبعها لحكي وحيث لم يكن علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنب أصلاً، وأيضاً جميع من له تعلق بهذه الواقعة قد أفصح ببراءة يوسف عليه السلام عن المعصية كما لا يخفى على من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ومن نظر في قوله سبحانه: (إنه من عبادنا المخلصين) رآه أفصح شاهد على براءته عليه السلام ومن ضم إليه قول إبليس: (فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا

---

[1] تفسير التحرير والتنوير جزء 12 صفحة 252-ـ 253، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس، 1997م.

عبادك منهم المخلصين) وجد إبليس مقراً بأنه لم يغوه ولم يضله عن سبيل الهدى كيف وهو عليه السلام من عباد الله تعالى المخلصين بشهادة الله تعالى وقد استثناهم من عموم (لأغوينهم أجمعين)، وعند هذا يقال للجهلة الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام تلك الغفلة الشنيعة: إن كانوا من أتباع الله سبحانه فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته عليه السلام وإن كانوا من أتباع إبليس فليقبلوا شهادته ، ومن أمعن النظر في الحجج وأنصف جزم أنه لم يبق في يد الواحدي ومن وافقه إلا مجرد التصلف وتعديد أسماء المفسرين ولم يجد معهم شبهة في دعواهم المخالفة لما شهد له الآيات البينات سوى روايات واهيات[1].

اختلاف العلماء في المراد بالبرهان في قوله تعالى: (لولا أن رأي برهان ربه):

أما فيما يتعلق بالمراد بذلك البرهان فإن المحققين المثبتين للعصمة قد فسروا رؤية البرهان بوجوه:

الأول: أنه حجة الله تعالى في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب.

الثاني: أن الله تعالى طهر نفوس الأنبياء عليهم السلام عن الأخلاق الذميمة، فالمراد برؤية البرهان هو حصول تلك الأخلاق وتذكير الأحوال الرادعة لهم عن الإقدام على المنكرات.

الثالث: أنه رأى مكتوباً في سقف البيت {وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً} (الإسراء: 32).

الرابع: أنه النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش، والدليل عليه أن الأنبياء عليهم السلام بعثوا لمنع الخلق عن القبائح والفضائح، فلو أنهم منعوا الناس عنها ثم أقدموا على أقبح أنواعها وأفحش أقسامها لدخلوا تحت قوله تعالى: {يأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُونَ} (الصف: 2-3)، وأيضاً أن الله تعالى عير اليهود بقوله: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ} (البقرة: 44)، وما يكون عيباً في حق اليهود كيف ينسب إلى الرسول المؤيد بالمعجزات، ويذكر أبو حيان أن البرهان الذي رآه يوسف هو ما آتاه الله تعالى من العلم الدال على تحريم ما حرمه الله، وما حرمه الله لا يمكن الهم به فضلاً عن الوقوع فيه[2].

وأما الذين نسبوا المعصية إلى يوسف عليه السلام فقد ذكروا في تفسير ذلك البرهان روايات متعددة سبق أن أشرت إليها من قبل، ويذكر الفخر الرازي أن الواحدي لما نقل هذه الروايات تصلف وقا : هذا الذي ذكرناه قول أئمة التفسير الذين أخذوا التأويل عمن شاهد التنزيل ويرد عليه فيقول: إنك لا تأتينا ألبتة إلا بهذه التصلفات التي لا فائدة فيها فأين هذا من

---

[1] راجع تفصيل ذلك التفسير الكبير جزء 18 صفحة 93-94،، 96، وقد لخصه الآلوسي في روح المعاني جزء 12 صفحة 215.

[2] تفسير البحر المحيط جزء 5 صفحة 295.

الحجة والدليل، وأيضاً فإن ترادف الدلائل على الشيء الواحد جائز، وأنه عليه الصلاة والسلام كان ممتنعاً عن الزنا بحسب الدلائل الأصلية، فلما انضاف إليها هذه الزواجر قوي الانزجار وكمل الاحتراز، والعجب أنهم زعموا أن يوسف عليه السلام حال اشتغاله بالفاحشة ذهب إليه جبريل عليه السلام، والعجب أنهم زعموا أنه لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب حضور جبريل عليه السلام، ولو أن أفسق الخلق وأكفرهم كان مشتغلاً بفاحشة فإذا دخل عليه رجل على زي الصالحين استحيا منه وفر وترك ذلك العمل، وههنا أنه رأى يعقوب عليه السلام عض على أنامله فلم يلتفت إليه، ثم إن جبريل عليه السلام على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع أيضاً عن ذلك القبيح بسبب حضوره حتى احتاج جبريل عليه السلام إلى أن يركضه على ظهره فنسأل الله أن يصوننا عن الغي في الدين، والخذلان في طلب اليقين فهذا هو الكلام المخلص في هذه المسألة والله أعلم[1].

المبحث الثاني

اختلاف علماء العقيدة في الاستدلال بالشاهد القرآني

(فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين)

يذكر القرطبي أن الضمير في قوله (فأنساه) فيه قولان:

القول الأول: أنه عائد إلى يوسف عليه السلام أي أنساه الشيطان ذكر الله عز وجل.

القول الثاني: إن الهاء تعود على الناجي فهو الناسي أي أنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف لربه أي لسيده، فجاء هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: القائلون بأن الضمير عائد علي يوسف، أي أنساه الشيطان ذكر الله عز وجل

وذلك أنه لما قال يوسف لساقي الملك حين علم أنه سينجو ويعود إلى حالته الأولى مع الملك اذكرني عند ربك نسي في ذلك الوقت أن يشكو إلى الله ويستغيث به وجنح إلى الاعتصام بمخلوق فعوقب باللبث، وروي أن جبريل عليه السلام جاءه فعاتبه عن الله تعالى في ذلك وطول سجنه وقال له: يا يوسف من خلصك من القتل من أيدي إخوتك؟ قال: الله تعالى، قال: فمن أخرجك من الجب؟ قال: الله تعالى، قال: فمن عصمك من الفاحشة؟ قال: الله تعالى، قال: فمن صرف عنك كيد النساء؟ قال: الله تعالى، قال: فكيف وثقت بمخلوق وتركت ربك فلم تسأله؟ قال: يا رب كلمة زلت مني أسألك يا إله إبراهيم وإسحاق والشيخ يعقوب عليهم السلام أن ترحمني، فقال له جبريل: فإن عقوبتك أن تلبث في السجن بضع سنين، وروى أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:]رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قال: اذكرني عند ربك ما لبث في السجن بضع

---

[1] التفسير الكبير جزء 18 صفحة 96-97.

سنين[، وقال ابن عباس: عوقب يوسف بطول الحبس بضع سنين لما قال للذي نجا منهما اذكرني عند ربك، ولو ذكر يوسف ربه لخلصه، وروى إسماعيل بن إبراهيم عن يونس عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:]لولا كلمة يوسف يعني قوله: اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث[، قال: ثم يبكي الحسن ويقول: نحن ينزل بنا الأمر فنشكو إلى الناس[1]، يذكر الطبري أن قوله: (فأنساه الشيطان ذكر ربه) إنما هو خبر من الله جل ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصة ولكنه زل بها فأطال من أجلها في السجن حبسه وأوجع لها عقوبته، وينتهي الطبري إلى أن قوله جل ثناؤه: (فلبث يوسف في السجن) لقيله للناجي من صاحبي السجن من القيل اذكرني عند سيدك بضع سنين عقوبة له من الله بذلك[2].

وجاء في معالم التزيل أن يوسف قال للذي ظن أي علم أنه ناج منهما وهو الساقي اذكرني عند ربك يعني سيد الملك وقل له إن في السجن غلاما محبوسا ظلما طال حبسه، فأنساه الشيطان ذكر ربه، وقال ابن عباس وعليه الأكثرون أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه حين ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق وتلك غفلة عرضت ليوسف من الشيطان فلبث فمكث في السجن بضع سنين، وقال كعب: قال جبريل ليوسف: الله تعالى يقول: من خلقك؟ قال عز وجل: قال فمن حببك إلى أبيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استشفعت بآدمي مثلك [3]، وجاء في تفسير ابن كثير أنه يقال إن الضمير عائد على يوسف عليه السلام رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضا وعكرمة وغيرهم وأسند ابن جرير ها هنا حديثا فقال حدثنا ابن وكيع حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يقل يعني يوسف الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله ، ويري الحافظ ابن كثير أن هذا الحديث ضعيف جدا لأن سفيان بن وكيع ضعيف وإبراهيم بن يزيد هو الجوزي أضعف منه أيضا وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلا عن كل منهما وهذه المرسلات ها هنا لا تقبل من قبل المرسل من حيث هو غير هذا الموطن والله أعلم [4]، وجاء في تفسير المنار أنه قيل : إن المعنى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه وهو الله - عز وجل - فعاقبه الله - تعالى - بإبقائه في السجن بضع سنين .وقالوا : إن ذنبه الذي استحق عليه هذا العقاب أنه توسل إلى الملك لإخراجه ولم يتوكل على الله - عز وجل -

---

[1] تفسير القرطبي جزء 9 صفحة 195 - 196
[2] تفسير الطبري جزء 12 صفحة 322 - 224
[3] تفسير البغوي جزء 2 صفحة 427 - 428
[4] تفسير ابن كثير جزء 2 صفحة 480

وجاءوا عليه بروايات لا يقبل في مثلها إلا الصحيح المرفوع أو المتواتر منــه ، لأنهـا تتضـمن الطعن في نـبي مرسـل ، ولكن قبلهـا على علاتهـا الجمهـور كعادتهم ، ويـري الشـيخ رشـيد رضـا أن هـذا هـو خلاف الظـاهر من وجـوه : (الأول) عطف الإنساء على ما قاله للساقي بالفاء يـدل على وقوعـه عقبـه ، ومفهومه أنه كان ذاكرا لله - تعالى - قبله إلى أن قاله ، فلو كـان قولـه ذنبـا عوقب عليه لـوجب أن يعطـف عليـه بجملـة حاليـة بـأن يقـال : وقـد أنسـاه الشـيطان ذكـر ربـه - أي في تلـك الحـال - فلم يـذكره بقلبـه ولا بلسـانه ، فاستحق عقابه - تعالى - بإطالـة مكثـه على خلاف مـا أراده من ملـك مصـر وحده .(الثاني) أن اللائق بمقامـه ألا يقـول ذلـك القـول إلا من بـاب مراعـاة سنة الله - تعالى - في الأسباب والمسببات كما وقع بالفعل ، فإنـه مـا خـرج من السـجن إلا بـأمر الملـك ، ومـا أمـر الملـك بإخراجـه إلا بعـد أن أخـبره الساقي خبره ، وما آتاه ربه من العلم بتأويل الرؤى وبغير ذلك مما وصاه بـه يوسف ، فإذا كان قد وصاه بذلك ملاحظا أنه من سنن الله في عباده متذكرا ذلك - وهـو اللائـق بـه - فلا يعقـل أن يعاقبـه ربـه - تعـالى - عليـه ، وعطـف الإنسـاء بالفـاء يـدل على وقوعـه بعـد تلـك الوصـية ، فلا تكـون هي ذنبـا ولا مقترنة بذنب فيستحق عليها العقاب .

(الثالث) إذا قيل : سلمنا أنه كان ذاكرا لربه عندما أوصـى السـاقي مـا أوصاه به ، ولكنه نسيه عقب الوصية واتكل عليها وحدها . (قلنا) : إن زعمتم أنه نسي ذلك في الحال واستمر ذلك النسيان مـدة ذلـك العقـاب وهـو بضـع سـنين أو تتمتهـا ، كنتم قـد اتهمتم هـذا النـبي الكـريم تهمـة فظيعـة لا تليـق بأضعف المؤمنين إيمانا ، ولا يدل عليها دليل ، بل يبطلها وصف الله لـه بأنــه من المحسنين ومن عباده المخلصين المصطفين ، وبأنـه غـالب على أمـره ، وأنه صرف عنه السوء والفحشاء ، وكيد النسـاء .، وإن زعمتم أن الشـيطان أنساه ذكر ربه برهة قليلة عقب تلك الوصية ، ثم عاد إلى مـا كـان عليـه من مراقبته له - عز وجل - وذكره فهذا النسيان القليل ، لا يستحق هـذا العقـاب الطويـل ، ولم يعصـم من مثلـه نـبي من الأنبيـاء كمـا يعلم من الـوجهين : الرابع ، والخامس .

(الرابع) جـاء في نصـوص التنزيـل في خطـاب الشـيطان : (إن عبـادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) 15 :ـ 42 وقـال - تعـالى - : (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) 7 : 201 ، فالتذكر بعد النسيان القليل من شأن أهل التقوى .

(الخامس) أن النسيان ليس ذنبا يعاقب الله تعـالى عليـه ، وقـد قـال - تعالى - لخاتم

النبـيين : (وإمـا ينسـينك الشـيطان فلا تقعـد بعـد الـذكرى مـع القـوم الظالمين) 6 ـ 68 يعني الذين أمره بالإعراض عنهم إذا رآهم يخوضون في آيات الله .

(السادس) أنهم ما قالوا هذا إلا لأنهم رووا فيها حديثا مرفوعا على قلة جرأة الرواة على الأحاديث المرفوعة المسندة في التفسير ، وهو ما أخرجه ابن جرير الطبري في تفسير الآية عن سفيان بن وكيع عن عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((لو لم يقل يوسف الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله)) ونقول : إن هذا الحديث باطل ، واستشهد الشيخ رشيد بما سبق أن نقلناه عن الحافظ ابن كثير من هذا الحديث بأنه ضعيف جدا ، وأن سفيان بن وكيع ضعيف وإبراهيم بن يزيد هو الجوزي أضعف منه أيضا . وقد روي من الحسن وقتادة مرسلا عن كل منهما . وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن ، وقد عقب الشيخ رشيد رضا علي كلام الحافظ ابن كثير بما يلي : أولا : إن ما قاله في هذين الراويين للحديث هو أهون ما قيل فيهما ، ومنه أنهما كانا يكذبان . وثانيا : إنه يعني بقوله (ههنا) الطعن في نبي مرسل بأنه كان يبتغي الفرج من عند غير الله ، وهو الجدير بألا تحجبه الأسباب الظاهرة عن واضعها ومسخرها وخالقها - عز وجل - . ويعني بقوله : لو قبل المرسل من حيث هو) ما هو الصحيح عند علماء الأصول وهو عدم الاحتجاج بالمراسيل ، وما رواه الكلبي وغيره عن وهب بن منبه وكعب الأحبار من خطاب الله - تعالى - وخطاب جبريل ليوسف وتوبيخه على الاستشفاع بآدمي مثله ، فهي من موضوعات الراوي والمروي عنهما جزاهم الله ما يستحقون ، وانتهي إلي أنه قد تبين بهذا أن التفسير المأثور في الآية باطل رواية ودراية وعقيدة ولغة وأدبا .[1]

المطلب الثاني :القائلون بأن الضمير عائد علي الساقي ، أي أنساه الشيطان ذكر يوسف لربه ،

يذكر القرطبي أن القول الثاني يتمثل في إن الهاء تعود على الناجي فهو الناسي أي أنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف لربه أي لسيده وفيه حذف أي أنساه الشيطان ذكره لربه ، ويذكر أنه قد رجح بعض العلماء هذا القول فقال : لولا أن الشيطان أنسى يوسف ذكر الله لما استحق العقاب باللبث في السجن إذ الناسي غير مؤاخذ وأجاب أهل القول الأول بأن النسيان قد يكون بمعنى الترك فلما ترك ذكر الله ودعاه الشيطان إلى ذلك عوقب

وقد رد عليهم أهل القول الثاني بقوله تعالى : (وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة) ، فدل على أن الناسي هو الساقي لا يوسف مع قوله تعالى : إن عبادي ليس لك عليهم سلطان الحجر فكيف يصح أن يضاف نسيانه إلى الشيطان وليس له على الأنبياء سلطنة قيل : أما النسيان فلا عصمة للأنبياء عنه إلا في وجه واحد وهو الخبر عن الله تعالى فيما يبلغونه فإنهم معصومون فيه وإذا وقع منهم النسيان حيث يجوز وقوعه فإنه ينسب إلى

---

[1] تفسير المنار جزء 12 صفحة 258 - 260

الشيطان إطلاقا وذلك إنما يكون فيما أخبر الله عنهم ولا يجوز لنا نحن ذلك فيهم قال صلى الله عليه وسلم :) نسي آدم فنسيت ذريته) وقال : (إنما أنا بشر أنسى كما تنسون) [1]

ويري الإمام ابن تيمية إلي أن الشيطان أنسى الذي نجا منهما ذكر ربه وهذا هو الصواب فإنه مطابق لقوله (اذكرني عند ربك) قال تعالى (فأنساه الشيطان ذكر ربه) والضمير يعود إلى القريب إذا لم يكن هناك دليل على خلاف ذلك ولأن يوسف لم ينس ذكر ربه بل كان ذاكرا لربه دائما ، ثم بعد أن قضى تأويل الرؤيا (قال للذي نجا منهما اذكرنى عند ربك) فكيف يكون قد أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه وإنما أنسى الشيطان الناجي ذكر ربه أي الذكر المضاف إلى ربه ، فتبين أن قوله (فأنساه الشيطان ذكر ربه) أي نسي الفتى ذكر ربه أن يذكر هذا لربه ونسي ذكر يوسف ربه والمصدر يضاف إلى الفاعل والمفعول ويوسف قد ذكر ربه ونسي الفتى ذكر يوسف ربه وأنساه الشيطان أن يذكر ربه هذا الذكر الخاص فإنه وإن كان يسقي ربه خمرا فقد لا يخطر هذا الذكر بقلبه وأنساه الشيطان تذكير ربه ، ومما يبين أن الذي نسي ربه هو الفتى لا يوسف قوله بعد ذلك (وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) وقوله (وادكر بعد أمة) دليل على أنه كان قد نسي فادكر [2]، وقد رجح الحافظ ابن كثير هذا القول الثاني بعد أن بين ضعف الحديث الذي اعتمد عليه أصحاب القول الأول ، فيقول : ولما ظن يوسف عليه السلام أن الساقي ناج قال له يوسف خفية عن الآخر والله أعلم لئلا يشعره أنه المصلوب قال له (اذكرني عند ربك) ، يقول اذكر قصتي عند ربك وهو الملك فنسى ذلك الموصي أن يذكر مولاه الملك بذلك ، ويري أن هذا كان من جملة مكايد الشيطان لئلا يطلع نبي الله من السجن ، وينتهي إلي أن هذا هو الصواب ، وأكد علي أن الضمير في قوله (فأنساه الشيطان ذكر ربه) عائد على الناجي كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد [3]
ويذكر الشيخ رشيد رضا في تفسير قوله تعالي (فأنساه الشيطان ذكر ربه) أي أنسى الساقي تذكر ربه ، وهو أن يذكر يوسف عنده على حد : (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) 18 :ـ 63 (فلبث في السجن بضع سنين) منسيا مظلوما ، والفاء على هذا للسببية وهو المتبادر من السياق ، والجاري على نظام الأسباب ، ويؤيده قوله - تعالى -: (وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة) 45 أي تذكر ، إلا أن هذا الاستعمال يحتاج إلى حذف وتقدير ، ووجهوه بأنه أضاف المصدر إليه لملابسته له ، أو أنه على تقدير : ذكر إخبار

---

[1] تفسير القرطبي جزء 9 صفحة 196 - 197

[2] كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير جزء 15 صفحة 112 –ـ 118 أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دار النشر : مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي

[3] تفسير ابن كثير جزء 2 صفحة 480

ربه ، فحذف المضاف ، وهـو كثـير كمـا أن الإضـافة لأدنى ملابسـة كثـير في كلامهم .[1]

المبحث الثالث :

اختلاف علماء العقيدة في الاستدلال بالشاهد القرآني

(وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي)

يرتبط هذا الشاهد القرآني الكريم بعدد من الآيـات القرآنيـة الكريمـة ، وبخاصة الآيتين اللتين سبقتاه ، حيث يقول تعالى : (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصـادقين ، ذلـك ليعلم أني لم أخنـه بـالغيب وأن اللـه لا يهـدي كيـد الخـائنين) قـالت امـرأة العزيـز (الآن حصحص الحق) أي ظهر بعد خفائه وانحسـرت رغـوة الباطـل عن محضـه ،، فهي تقول : إن الحق في هذه القضية كان في رأي الذين بلغهم موزع التبعة بيننا معشر النسوة وبين يوسف ؛ لكل منا حصـة ، بقـدر مـا عـرض فيهـا من شبهة ، والآن قد ظهر الحق في جـانب واحـد لا خفـاء فيـه ولا شـبهة عليـه ، فإن كان عواذلي شهدن بنفي السوء عنـه وهي شـهادة نفي ، فشـهادتي لـه على نفسي شهادة إثبات ؟ ، (أنا راودته عن نفسـه) وهـو لم يـراودني ، بـل استعصم وأعـرض عـني (وإنـه لمن الصـادقين) فيمـا اتهمـني بـه من قبـل ، وحمله أدبـه الأعلى ووفـاؤه الأسـمى لمن أكـرم مثـواه وأحسـن إليـه - على السـكوت عنـه إلى الآن ، ونحن جزينـاه بالسـيئة على الإحسـان ، وقـد أقـر الخصم وارتفع النزاع .[2]

أما قوله تعالي (ذلك ليعلم أني لم أخنه بـالغيب وأن اللـه لا يهـدي كيـد الخائنين) فقد اختلف فيمن قال هذا القول علي قولين ، سنعرض لهمـا في هذين المطلبين :

المطلب الأول : القائلون بأن هذا من قول يوسف عليه السلام ، يـذكر الفخر الرازي أن هذا القول الأول هو قول الأكـثرين ، حيث يـرون أنـه قـول يوسف عليه السلام . قال الفراء : ولا يبعـد وصـل كلام إنسـان بكلام إنسـان آخر إذا دلت القرينة عليه ومثاله قوله تعـالى :) إِنَّ الْمُلُـوكَ إِذَا دَخَلُـواْ قَرْيَـةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُواْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ((النمل : 34) وهذا كلام بلقيس . ثم إنه تعالى قال :) وَكَـذلِكَ يَفْعَلُـونَ ، ويـذكر القرطـبي أنـه قيـل : هـو من قـول يوسف أي قال يوسف : ذلك الأمر الذي فعلته من رد الرسول ليعلم العزيـز أني لم أخنه بالغيب قاله الحسن وقتادة وغيرهما ومعنى بـالغيب وهـو غـائب وإنما قال يوسف ذلك بحضرة الملك وقال : ليعلم على الغائب توقيرا للملك ، وقيل : قاله إذ عاد إليه الرسول وهو في السجن بعـد ، قـال ابن عبـاس : جـاء الرسـول إلى يوسـف عليـه السـلام بـالخبر وجبريـل معـه يحدثـه فقـال يوسف : ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين أي لم أخن سيدي بالغيب فقال له جبريل عليـه السـلام : يـا يوسـف ولا حين حللت

---

[1] تفسير المنار جزء 12 صفحة 258

[2] تفسير المنار جزء 12 صفحة 266 - 267

الإزار وجلست مجلس الرجل من المرأة فقال يوسف : وما أبرىء نفسي الآية ، وقال السدي : إنما قالت له امرأة العزيز ولا حين حللت سراويلك يا يوسف فقال يوسف : وما أبرىء نفسي [1] ، وينقل الطبري عن قتادة ومجاهد وعن أبي صالح في قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب هو قول يوسف يقول لم أخن الملك بالغيب ، وقوله وأن الله لا يهدي كيد الخائنين يقول فعلت ذلك ليعلم سيدي أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين يقول وأن الله لا يسدد صنيع من خان الأمانات ولا يرشد فعالهم في خيانتهم [2]، ثم يذكر ان القول في تأويل قوله تعالى (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم) يقول يوسف صلوات الله عليه وما أبرئ نفسي من الخطأ والزلل فأزكيها إن النفس لأمارة بالسوء ، وذكر أن يوسف قال هذا القول من أجل أن يوسف لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال ملك من الملائكة ولا يوم هممت بها فقال يوسف حينئذ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ، وقد قيل إن القائل ليوسف ولا يوم هممت بها فحللت سراويلك هو امرأة العزيز فأجابها يوسف بهذا الجواب وقيل إن يوسف قال ذلك ابتداء من قبل نفسه [3] ، وقد عقب الحافظ ابن كثير علي هذا القول الأول فذكر أن هذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم سواه ، وقد نقله الطبري عن ابن عباس ، وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي الهذيل والضحاك والحسن وقتادة والسدي ، ولكنه يري ان القول الثاني أقوى وأظهر لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك كما في الآيات (يوسف 54 ـ 55) [4]

المطلب الثاني : القائلون بأن هذا القول من قول امرأة العزيز

يذكر الحافظ ابن كثير في تفسير قوله (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) أن هذا هو قول امرأة العزيز ، فهي تقول إنما اعترفت بهذا على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر ولا وقع المحذور الأكبر وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع ، فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة (وأن الله لا يهدي الخائنين وما أبرئ نفسي) تقول المرأة ولست أبرئ نفسي فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته لأن (النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) أي إلا من عصمه الله تعالى (إن ربي غفور رحيم)، ويؤكد ابن كثير علي أن هذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام وقد حكاه الماوردي في تفسيره وانتدب لنصره

---

[1] راجع مفاتيح الغيب ج 18 ص 123 وتفسير القرطبي جزء 9 صفحة 209
[2] تفسير الطبري جزء 12 صفحة 237 - 238
[3] تفسير الطبري جزء 13 صفحة 1 - 3
[4] تفسير ابن كثير جزء 2 صفحة 482 - 483

الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله فأفرده بتصنيف على حدة [5] ، حيث يذكر الإمام ابن تيمية أن قوله (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) إنما هو من كلام امرأة العزيز كما يدل القرآن على ذلك دلالة بينة لا يرتاب فيها من تدبر القرآن حيث قال تعالى قبل هذه الآية (وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم)، فهذا كله كلام امرأة العزيز ويوسف إذ ذاك في السجن لم يحضر بعد إلى الملك ولا سمع كلامه ولا رآه ولكن لما ظهرت براءته في غيبته كما قالت امرأة العزيز (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) أي لم أخنه في حال مغيبه عني وإن كنت في حال شهوده راودته فحينئذ (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) ، وقد قال كثير من المفسرين إن هذا من كلام يوسف ومنهم من لم يذكر إلا هذا القول وهو قول في غاية الفساد ولا دليل عليه بل الأدلة تدل على نقيضه[2]

وينتهي الإمام ابن تيمية إلي القول بأن الله سبحانه وتعالى لم يذكر عن نبي من الأنبياء ذنبا إلا ذكر توبته منه ولهذا كان الناس في عصمة الأنبياء على قولين أما أن يقولوا بالعصمة من فعلها وأما منه بعض مقدماتها مثل ما يذكرون أنه حل السراويل وقعد منها قعد الخاتن ونحو هذا وما ينقلون فى ذلك ليس هو عن النبى ولا مستند له فيه إلا النقل عن بعض أهل الكتاب وقد عرف كلام اليهود فى الأنبياء وغضهم منهم كما قالوا فى سليمان ما قالوا وفي داود ما قالوا فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه فكيف نصدقهم فيما قد دل القرآن على خلافه ، والقرآن قد أخبر عن يوسف من الاستعصام والتقوى والصبر فى هذه القضية ما لم يذكر عن أحد نظيره فلو كان يوسف قد أذنب لكان إما مصرا وإما تائبا والإصرار ممتنع ، فتعين أن يكون تائبا والله لم يذكر عنه توبة فى هذا ولا استغفار كما ذكر عن غيره من الأنبياء فدل ذلك على أن ما فعله يوسف كان من الحسنات المبرورة والمساعي المشكورة كما أخبر الله عنه بقوله تعالى (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) [3] ، ويذكر

---

[1] تفسير القرآن العظيم جزء 2 صفحة 482

[2] دقائق التفسير جزء 2 صفحة 273 مجموع الفتاوى جزء 10 صفحة 298

[3] راجع تفصيل ذلك في كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير جزء 15 صفحة 139 ـ 151، دار النشر : مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي

الفخر الـرازي أن قولـه : (ذَلِـكَ لِيَعْلَمَ أَنّى لَمْ أَخُنْـهُ بِـالْغَيْبِ) هـو من كلام امرأة العزيز والمعنى : أني وإن أحلت الـذنب عليـه عنـد حضـوره لكـني مـا أحلت الذنب عليه عند غيبته ، أي لم أقل فيه وهو في السجن خلاف الحـق . ثم إنها بالغت في تأكيد الحق بهذا القول ، وقـالت : (وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْـدِى كَيْـدَ الْخَائِنِينَ) يعني أني لما أقدمت على الكيد والمكر لا جرم افتضحت وأنه لمـا كان بريئاً عن الذنب لا جرم طهره الله تعالى عنه . قال صاحب هذا القـول : والذي يـدل على صحته أن يوسـف عليـه السـلام مـا كـان حاضـراً في ذلـك المجلس حتى يقال لما ذكـرت المـرأة قولهـا : (قَـالَ مَـا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَـاشَ للـه) ففي تلـك الحالـة يقـول يوسـف : (ذَلِـكَ لِيَعْلَمَ أَنّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) بـل يحتـاج فيـه إلى أن يرجـع الرسـول من ذلـك المجلس إلى السـجن ويـذكر لـه تلـك الحكايـة ، ثم إن يوسـف يقـول ابتـداء (ذلِكَ لِيَعْلَمَ أَنّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) ومثل هـذا الوصـل بين الكلامين الأجنبـيين ما جاء ألبتة في نثر ولا نظم فعلمنا أن هذا من تمام كلام المرأة [1]

ويذكر العلامة الشيخ رشيد رضا في تفسير قولهـا (ذلـك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) أي ذلك الإقرار بالحق له ، والشهادة بالصدق الذي علمته منه ، ليعلم الآن - إذ يبلغـه عـني - أني لم أخنـه بـالغيب عنـه منـذ سـجن إلى الآن بالنيل من أمانته ، أو الطعن في شرفه وعفته ، بل صرحت لجماعة النســوة بأنني راودته فاستعصم وهو شاهد ، وهأنذا أقر بهذا أمام الملـك وملئـه وهـو غائب ، (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) من النساء والرجال بل تكـون عاقبـة كيدهن الفضيحة والنكال ، ولقد كدنا له فصرف ربه عنه كيدنا وسجناه فـبرأه وفضح مكرنا ، حتى شهدنا لـه في هـذا المقـام السـامي على أنفسـنا .وهـذا تعليل آخر لإقرارها على تبرئة نفسها من خيانته بـالغيب ، اعـترفت في الآيـة التالية بأنها لا تبرئ نفسها من الكيـد لـه بالسـجن ، وأن ذلـك كـان من هـوى النفس الأمارة بالسوء ، لأن المراد منـه تذليلـه لهـا ، وحملـه على طاعتهـا ، وفيهما وجه آخر وهو أنها تقول : ذلـك الـذي حصـل أقـررت بـه ليعلم زوجي أني لم أخنه بالفعل فيما كان من خلواتي بيوسف في غيبته عنا ، وأن كل مـا وقـع أنـني راودت هـذا الشـاب الفـاتن الـذي وضـعه في بيـتي ، وخلى بينـه وبيـني ، فاستعصـم وامتنـع ، فبقي عرضـه - أي الـزوج - مصـونا ، وشـرفه محفوظا ، ولئن برأت يوسف من الإثم فما أبرئ منـه نفسـي فــ (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) 53

ويري أن هذا هو المتبادر من نظم الآيتين المناسب للمقام بغير تكلف ، ولكن ذهب الجمهور اتباعا للروايات الخادعة إلى أنهمـا حكايـة عن يوسـف - عليـه السـلام - يقـول : ذلـك الـذي كـان مـني إذ امتنعت من إجابـة الملـك واقترحت عليه التحقيق في قضية النسوة ليعلم العزيـز من التحقيـق أني لم أخنه في زوجه بالغيب إلخ ، وأنه صرح بعد ذلك بأنه لا يـبرئ نفسـه من بـاب التواضع وهضم النفس وهذا المعنى يتبرأ منه السياق والنظم ومرجع الضمير

[1] التفسير الكبير جزء 18 صفحة 124 -125 راجع كتابه عصمة الأنبياء ص 91

. ومن العجب أن ابن جرير اقتصر عليه ، ولكن سبق ما نقلته عن الحافظ من أن هذا هو القول الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام وقد حكاه الماوردي في تفسيره وانتدب لنصره الإمام أبو العباس بن تيمية - رحمه الله - فأفرده بتصنيف على حدة – وقد سبق ما نقلته عن ابن تيمية - ولذلك فقد عقب العلامة الشيخ رشيد علي كلام الحافظ ابن كثير : وشيخ الإسلام ابن تيمية من أعلم المحدثين بنقد الروايات فهو ما نصر هذا القول إلا وقد فند روايات القول الآخر . ، وقد علم من جملة الكلام أن يوسف - عليه السلام - كان مثل الكمال الإنساني الأعلى للاقتداء به في العفة والصيانة ، لم يمسه أدنى سوء من فتنة النسوة ، وأن امرأة العزيز - في خاتمة الأمر – قد أقرت بذنبها في مجلس الملك الرسمي إيثارا للحق وإثباتا لبراءة المحق ، فأية مزايا أظهر من هذه لمن ابتليت بمثل هذا العشق ؟ وفي تاريخ الفردوسي أديب الفرس أنه صنف قصة غرامية في زليخا ويوسف صور فيها العفة بأجمل صورها ، وزليخا (بالفتح) اسم امرأة العزيز في أشهر تواريخنا ، وقيل : إن اسمها راعيل ، [1]

الخاتمة : أهم نتائج البحث

1-بيان مكانة الشواهد القرآنية ومنزلتها في علم الكلام والعقيدة الإسلامية ، والتأكيد علي أن نصوص القرآن الكريم تمثل المصدر الأول لهذا العلم ، واستقاء أركان الإيمان الستة وأصول العقيدة من هذا الينبوع الإلهي ،

2- بيان أن هذه الشواهد القرآنية قد أثارت قريحة علماء الكلام والعقيدة ، ولفتت انتباههم ، فأدي ذلك إلي الثراء العلمي ، والتلاقح الفكري ، والاختلاف المذهبي ، واتسع نطاق العلم والفكر والمعرفة ، وتعمق الاعتقاد بعصمة يوسف ، وتنزيهه عما نسبه إليه الجهلة ، وتناقله النقلة ، من الإسرائيليات والموضوعات

3- بيان اتفاق العلماء علي تفسير هم امرأة العزيز ، بأنها قصدت المخالطة ، وعزمت عليها عزما جازما ، لا يلويها عنه صارف بعد ما باشرت مباديها ، وفعلت ما فعلت مما قصه الله تعالي من المراودة وتغليق الأبواب ، وقولها (هيت لك) ،

4- بيان اختلاف علماء العقيدة في الاستدلال بالشاهد القرآني (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأي برهان ربه) ، حيث اختلفوا في تفسير هم يوسف عليه السلام ،واختلفت أقوال الناس وعباراتهم في هذا المقام ، إلي اتجاهات أربعة

---

[1] تفسير المنار جزء 12 صفحة 267 – 268

5- تمثل الاتجـاه الأول في القـول بـأن هم يوسـف عليـه السـلام كـان بمعني العزم والفعل ، حيث ذكروا أن يوسف قد هم أيضا بهذه المرأة هما صحيحا ، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة ، فلما رأي البرهان زال منـه كل شهوة

6- اعتمد أصحاب هذا الاتجاه الأول علي ما ورد من روايـات تـبين أنهـا من الإسرائيليات ، والموضوعات في كتب التفسير والتاريخ وقصص الأنبياء ،

7-ما ذكره أصحاب الاتجاه الاول يتنافي تماما مع عقيدة عصمة الانبيـاء والرسل قبل النبوة وبعدها ،

8- تمثل الاتجاه الثاني في القول بأن هم يوسف عليه السلام إنمـا هـو بمعني خطرات وحـديث النفس ، ويكـون من غـير اختيـار ولا عـزم ، وحركـة طبع من غير تصميم للعقد علي الفعل ، وما كان من هذا القبيل لا يؤاخـذ بـه العبد ، وقد يخطر بقلب المرء وهو صائم شرب الماء البارد ، وتناول الطعـام اللذيذ ، فـإذا لم يأكـل ويشـرب ، ولم يصـمم عزمـه علي الأكـل والشـرب لا يؤاخذ بما هجس في النفس ، والبرهان هو صرفه عن هذا الهم حتي لم يصر عزما مصمما

9- بيان أن كثيرا من العلماء المحققين قد تبنـوا هـذا الاتجـاه الثـاني ، تنزيها للنبي يوسف عليه السلام ، مما نسبه إليه ، ورماه به أصـحاب الاتجـاه الأول ، فذكروا أنه عليه السلام ، قد هم بها أي مال إلي مخالطتها بمقتضـي الطبيعة البشرية ، كميل الصائم في اليوم الحار إلي الماء البارد ، لا أنه عليه السلام قصدها قصدا اختياريا لأن ذلك أمـر مـذموم تنـادي الآيـات علي عـدم اتصافه عليه السلام به ،

10 - بيان أن الاتجـاه الثـالث يتمثـل في القـول بـأن هم يوسـف عليـه السلام هو بمعني الـدفع والضـرب ، حيث ذكـر بعض العلمـاء أنـه هم بهـا أي بضربها ودفعها عن نفسه ، والبرهان كفـه عن الضـرب ، إذ لـو ضـربها لأوهم أنه قصدها بالحرام فامتنعت فضربها

11- بيان أن هذا الاتجاه قد اشار إليه عدد من العلمـاء القـدامي ، وقـد تبناه من العلماء العلامة الشيخ محمد رشيد رضا ، وبرهن عليه ، ودافع عنه

12- بيان أن الاتجاه الرابع والأخـير يتمثـل في القـول بأنـه لم يقـع من يوسف عليه السلام هم ألبتة ، حيث ذكـر الفخـر الـرازي أنـه كـان بريئـا عن العمــل الباطــل ، والهم المحــرم ، وهــذا قــول المحققين من المتكلمين والمفسرين ، وبه نقول وعنه نذب ، وذكر أبو حيان في البحر المحيط أنه لم يقع منه عليه السلام هم ألبتة ، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان ، كما تقول : قارفت الذنب لولا أن عصمك الله تعالي ،

13- بيان أن أصحاب الاتجاهات الثلاثة، قد أجمعوا علي بطلان ما ذكره أصـحاب الاتجـاه الأول ، و أنهـا مـا هي إلا خرافـات وأباطيـل تمجهـا الآذان ، وتردها العقول والأذهان

14- بيــان اختلاف علمــاء العقيــدة في الاســتدلال بالشــاهد القــرآني (فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) علي عصمة النبي يوسف عليه السلام

15- بيان بطلان ما ذكره البعض من أن الضمير عائد علي يوسف ، أي أنساه الشيطان ذكر الله عز وجل، حيث اعتمدوا علي حديث ضعيف لا يحتج به ، ولا يعتمد عليه

16- بيان صحة ما ذهب إليه القائلون بأن الضمير عائد علي الساقي ، أي أنساه الشيطان ذكر يوسف لربه ، وهذا يتناسب مع سياق الآيات ، ويتفق مع عصمة الأنبياء

17 - اختلاف علماء العقيدة في الاستدلال بالشاهد القرآني(وما أبــرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) علي عصمة النبي يوســف عليه السلام

18 – بيان بطلان ما ذهب إليه القائلون بأن هذا من قول يوســف عليــه الســلام ، حيث اعتمــدوا فيــه علي الروايــات الموضــوعة ، والإســرائيليات، ويتنافي مع عصمة الأنبياء

19- بيان صحة ما ذهب إليه القائلون بـأن هـذا القـول من قـول امـرأة العزيز ، وهذا يتناسب مع سياق الآيات ، ويتفق مع عصمة الأنبيــاء، وقـال بـه المحققون المنصفون والمنزهون للأنبياء

فهرس المصادر والمراجع

1. أحكــام القــرآن ، أبــو بكــر محمــد بن عبــد اللــه ابن العــربي ، دار النشر : دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا

2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، للعلامة أبي السعود محمد بن محمد العمادي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت

3 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل تفسير البيضاوي: للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمــر البيضــاوي البيضــاوي ، دار النشــر : دار الفكــر - بيروت

4 - تفســير البحــر المحيــط محمــد بن يوســف الشــهير بــأبي حيــان الأندلســي ، دار النشــر : دار الكتب العلميــة - ، الطبعــة : الأولى ، تحقيــق : الشيخ عادل أحمــد عبــد الموجــود - الشــيخ علي محمــد معــوض، شــارك في التحقيق د.زكريا عبد المجيد النوقي و د.أحمد النجولي الجمل

5 - تفسير التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور ، دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - 1997م ،

6 - تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار للإمام محمد عبــده ، وتلميــذه العلامــة الشــيخ محمــد رشــيد بن علي رضــا ، دار النشــر : الهيئــة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - 1990 ،

7 - تفســير القــرآن العظيم ، تفســير ابن كثــير للحافــظ إســماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - 1401

8 - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - 1421هـ - 2000م ، الطبعة : الأولى
9 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تفسير الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ، دار النشر : دار الفكر - بيروت -
10 - الجامع لأحكام القرآن ، تفسير القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار النشر : دار الشعب - القاهرة
11- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - 1993
12 - دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دار النشر : مؤسسة علوم القرآن - دمشق - 1404 ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : د. محمد السيد الجليند ،
13 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت
14 - زاد المسير في علم التفسير عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - 1404 ، الطبعة : الثالثة
15 - شرح المقاصد في علم الكلام ،للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ، دار النشر : دار المعارف النعمانية - باكستان - 1401هـ - 1981م ، الطبعة : الأولى
16 - عصمة الأنبياء للفخر الرازي تقديم ومراجعة محمد حجازي نشر مكتبة الثقافة الدينية الطبعة الأولي 1406 ه – 1986 م
17 - كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير جزء 15 صفحة 112 –ـ 118 أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دار النشر : مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي
18 - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي
19 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للعلامة أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - 1413هـ- 1993م ، الطبعة : الاولى ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد
20 - مجموع الفتاوى كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دار النشر : مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي

21 - مدارك التنزيل وحقائق التأويل تفسير النسفي ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ابو البركات ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت - 1429-2008 ، تحقيق : عبد المجيد طعمه حلبي
22 - معالم التنزيل تفسير البغوي ، الحافظ ، مُحيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر دار النشر : دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك 1405 ه
23 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، جزء 4 صفحة 30 ، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - 1415هـ- 1995م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي
24 - الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تفسير الواحدي، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن ، دار النشر : دار القلم , الدار الشامية - دمشق , بيروت - 1415 ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي